علاقة مكة بالقبائل والحواضر العربية قبل الاسلام

أ.د جاسم صكبان علي*

الخلاصة:

لقد طرد الجراهمة من حكم مكة في مطلع القرن الثالث للميلاد . وحلت محلهم خزاعة في رعاية الكعبة ,بمساعدة كنانة وبكر .وقد اقامت مكة في عهد خزاعة علاقات مع القبائل العربية الاخرى مبنية على اساس التجارة واساس المصاهرات.ودخلت خزاعة في الوقت نفسه في حروب مع قبائل اخرى لأسباب كثيرة.وقد حاولت قيس عيلان الفوز بحكم مكة طمعاً في الامتيازات الناتجة عن ذلك ولكنها فشلت في ذلك .

وحاولت خزاعة التوسع خارج مكة والحجاز .ومد نفوذها الى اليمامة ,لكنها فشلت في ضم اليمامة لسيادتها .وفي الوقت نفسه نجحت في توفير الامن والاستقرار في مكة ؛مما شجع التجار الى القدوم اليها .ونظراً لاهمية مكة في جزيرة العرب فقد حاول بعض ملوك اليمن الاستيلاء عليها .وقد نجحت خزاعة في الدفاع عنها ولم تتيح المجال لسيطرة اي حاكم عليها.

ثم بدأت خزاعة تضعف وتنحل لتوسع منازلها وانتشار بطونها في اماكن واسعة, مما ادى الى جعل قوتها غير مهمة وجعل قريش تنتزع السيادة منها في مطلع القرن الخامس الميلادي. ومع ذلك فقد ظلت خزاعة في مكة في منازلها وعقدت سلسلة من المعهدات والمصاهرات مع قريش .ومنها حلف الفضول الذي ظل الى ظهور الاسلام مما يفسر سبب التزام خزاعة بمساعدة الرسول (ص) .

وعندما انتزعت قريش السيادة من خزاعة ابعدت بكر حليفة خزاعة من مكة ؛وهذا يفسر سبب دخول البكريين الى جانب قريش ضد الرسول(ص) .

دام حكم خزاعة لمكة اكثر من ثلاثة قرون ثم برزت قريش في حدود منتصف القرن الخامس للميلاد بزعامة قصي وتمكنت من حكم مكة ,فاصبح قصي زعيمها . وتنازع ابناء قصي حول السيادة على مكة ثم اتفقوا على ان تكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار .وتكون السقاية والوفادة لبني عبد مناف.

تولى هاشم بن عبد مناف الرفادة والسقاية ,فأهتم بتوفير الطعام والماء للحجاج. وتولى المطلب بعد اخيه هاشم هذه المهمة ثم من بعدة اخيه عبد المطلب .

لقد اوجدت قريش نظام الحُمس وحلف الفضول والايلاف وهي مؤسسات اجتماعية ــ اقتصادية يكمل بعضها البعض الاخر وهي مظهر من مظاهر الوحدة الاقتصادية التي مهدت السبيل وهيأت الاذهان للوحدة السياسية التي حققها العرب بظهور الاسلام .

ان ذكر الايلاف في القرأن الكريم دليل على اهمية التجارة العربية قبل الاسلام في حياة العالم والعرب .وقد ادركت الدول الكبرى ذلك ؛فأعطت العرب الامان والعصم .وقد اثبت العرب قدرتهم في تهيئة الامن والاستقرار في بلادهم بعد ان فشلت الدول الكبرى في تحقيق ذلك. وقد برز دور قريش في هذا المجال .

جاء ابراهيم الخليل وزوجته هاجر وابنه اسماعيل الى مكة وسكنوا فيها .وقويت بهم قبيلة جرهم وسكنت معهم"[١]" .وقد أسهم الجرهميون في ادارة مكة مع اسماعيل الذي كان قد تزوج امرأة منهم"[٢]" .ونزحت اليها قبيلة الازد وسكنت بقوة السلاح .لكن بيئة مكة ادت الى تذمر قبيلة الازد .فارتحل معظم ابناء القبيلة الا بطن واحد , وهو مر بن حارثه بن عمرو مزيقيا"[٣]" ,الذي حسن علاقته مع جرهم .وتصاهر ال عمرو ومزيقيا مع الجرهميين .وتكاثر الازديون في حين كان الجرهميون في تناقص لانتشار الوباء بينهم"[٤]" .ان اقتصار انتشار

* كلية التربية للبنات / قسم التاريخ/ جامعة بغداد.

الوباء على الجرهميين يدل على عزلتهم ومنع اتصالهم بالاخرين .او ان الاخرين نبذوهم وعزلوهم عنهم, والا لو كانت علاقتهم مع الاخرين طبيعية لأنتشر الوباء بين كل سكان مكة .مما يدل على ان الجرهميين كانوا محصورين وغير مرغوب فيهم .وتعاون الازديون بقيادة عمرو بن لحي وبنو اسماعيل على طرد الجرهميين .ونجح الطرفان بطردهم وانتزاع ولاية الكعبة منهم.وتولى عمرو بن لحي حجابة البيت وكان ذلك في مطلع القرن الثالث للميلاد"[٥] .

ويبدو ان سكان مكة كانوا قد كرهوا الجراهمة لانهم استخفوا بحرمة البيت وبغوا وطغوا وارتكبوا فيه الحرمات ,واستحوذوا على الاموال التي كانت تهدى للكعبة. واعتدوا على من دخل مكة من غير اهلها"[٦] .روى الطبري:-"حتى بغت جرهم على مكة واستحلوا حرمتها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها وظلموا من دخل مكة ولم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم اذا لم يجد مكان يزني فيه دخل مكة فزنى""[٧] .في حين لم يكن قبلهم ظلم ولا بغي فيها .ولا يستحل حرمها ملك الا هلك ....وتسمى مكة لانها تبك اعناق البغايا اذا بغوا فيها"[٨] .وروى ابن هشام ان الجرهميين "اكثروا العشور على الناس وبغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك""[٩] .

روى المسعودي "ولما ثارت الحرب بين اياد ومضر ابني نزار وكانت على اياد ,قلعت الحجر الاسود ودفنته في بعض المواقع فرأت ذلك امرأة من خزاعة فاخبرت قومها ,فاشترطوا على مضر انه ان ارادوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم فوفوا لهم بذلك .وكان اول من وليه منهم عمرو بن لحي ,واسم لحي حارثه بن عامر""[١٠] . والرأي عندي ان المسعودي قد وقع تحت تأثير الخلافات بين القحطانية والعدنانية فروى رواية تثبت حق العدنانيين بولاية الكعبة منذ القدم ,ولا علاقة لجرهم في الامر. وان الازديين حصلوا على ولاية الكعبة بموافقة المضريين .ويبدو ان ابن كثير تأثر برواية المسعودي عندما اشار الى استرجاع قصي بن كلاب ولاية البيت من خزاعة حيث عدها عملية استرجاع الحق الى اصحابه الشرعيين من مضر"[١١]

وسُمي الازد الذين استقروا في مكة اسم خزاعة تمييزاً لهم عن غيرهم من الازد واختلفت المصادر حول الشخص الذي سميت بأسمه خزاعة .فعن المسعودي ان ربيعة هو لحي بن حارثه بن عمرو مزيقيا وهو خزاعة "[١٢] . في حين ان البلاذري يقول ان عمرو بن لحي هو خزاعة"[١٣] .وقال النويري :-"ان بنو حارثه بن عمرو بن عامر بن خزاعة""[١٤] . وعند الاصمعي ان افصى بن حارثه بن عمرو هو ابو خزاعة"[١٥] .ويقول الزبيري :- ان البعض يزعم ان خزاعة من العدنانية فعلى رأيه ان قمع ابن اياس بن مضر واسمه عمير "انه ابو خزاعة ""[١٦] .

اما معنى كلمة خزاعة فعند ابن منظور أنها من الفعل خزع من اصحابه بمعنى تخلف عن مسيرتهم ,وخزع عنهم اذا كان معهم في المسير فخلس عنهم"[١٧] .وسميت خزاعة بهذا الاسم لانهم انخزعوا من قومهم حين اقبلوا من مأرب فنزلوا في ظاهر مكة "[١٨] .ويقول ابن هشام :-"وانما سميت خزاعة لانهم تخزعوا عن ولد عمرو بن عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها""[١٩] . وقيل هم حي من الازد مشتق اسمهم من الفعل خزع لتخلفهم عن قومهم في حين سار الاخرون. قال عون بن ايوب الانصاري عن الخزرج في الاسلام"[٢٠] :-

فلما هبطنا بطن من تخزعت خزاعة منا في حلول كراكر.

وعلى رأي البلاذري ان اول من اطلق هذه التسمية هو جذع بن سنان الازدي عندما قال :-"اكلما صرتم يا معشر الازد الى ناحية انخزعت عنكم جماعة. يوشك ان تكونوا اذناباً في العرب""[٢١] . فسمي من قام بمكة من الازد بأسم خزاعة .

ولم يكن وصول خزاعة الى سدة الحكم في مكة امرأ سهلاً بل احتاج الى تحشيد جهود كثيرة ,أسهمت فيها عدة جهات او قبائل. وقد مهدت خزاعة لهذا الامر بأن تحالفت مع مجموعة من القبائل المجاورة لها .وكانت كنانة اول من عقدت مع خزاعة حلفاً ,وكان الغرض من ذلك التعاون لطرد جرهم واخراجها من مكة"[٢٢] ولأجل ضمان بقاءهم في مكة في امان حيث ان قريشاً استولت عليها وابقت خزاعة على منازلها بعد انتزاع السيادة منها.فان خزاعة عقدت المعاهدات مع قريش ,منها حلف الاحابيش"[٢٣] وحلف بني زهره"[٢٤] وحلف بني عبد الدار وبني سُليم ."[٢٥] وحلف مع بني هاشم .وكان للحلف الاخير ميزات تجعله يختلف عن بقية الاحلاف وهي انه ورد نصه في المصادر, وجاء فيه :-"هذا ماتحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني

عمرو من خزاعة ومن معهم من اسلم ومالك .تحالفوا على التناصر والمواساة حلفاً جامعاً غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاكابر والشاهد على الغائب, تعاهدوا وتعاقدوا على ما شرقت الشمس ... وما حن بفلاة بعير وما قام الاخشبان (جبلان بمكة) وما عمر بمكة انسان ,حلف ابد لطول امد , يزيده طلوع الشمس شداً وظلام الليل مداً ,عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو فصاروا يداً دون بني النضر .فعلى عبد المطلب النصرة لهم على كل طالب وتر في بر وبحر او سهل او وعر"[٢٦]" . وقد استمر هذا الحلف الى ظهور الاسلام فقد اوصى عبد المطلب ابنه الزبير ان يحافظ عليه وان يلتزم بنصوصه .وقد اوصى الزبير اخاه ابا طالب بذلك ايضاً .واوصى ابو طالب بدوره اخاه العباس ان يلتزم به. مما يفسر لماذا التزمت خزاعة بمساعدة الرسول (ص) ضد قريش وقامت بأرسال الاخبار له تعلمه بمخططات قريش ضد الاسلام .وقد تعزز هذا الحلف عندما عقد صلح الحديبية حيث دخلت خزاعة في عقد مع الرسول(ص) "[٢٧]" .

وقد ذكرت خزاعة الرسول (ص) بهذا الحلف عندما حالفت قريش كنانة ضد خزاعة اذ قال عمرو بن سالم الخزاعي"[٢٨]" :-

لا هم اني ناشد محمد حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا

وقد استجاب الرسول (ص) لطلب خزاعة فنصرها وكان بذاك النصر فتح مكة"[٢٩]" .

والرأي عندي ان اول العلاقات الاجتماعية الواضحة هي علاقة خزاعة مع جرهم. وقد توجت بتمكن خزاعة بحكم مكة وطرد جرهم منها .وقد نظمت خزاعة علاقات مختلفة مع مجموعة من القبائل العربية عندما كانت صاحبة السيادة في مكة .وكانت خزاعة متمركزة في مكة وفي حرمها بالذات.وعندما توسعت منازل خزاعة وانتشرت بطونها في رقعة جغرافية واسعة انتقلت السلطة منها الى قريش .واصبحت خزاعة تدور في فلك قريش وسياستها ؛وذلك لانها ضعفت بسبب تفرق بطونها ولم تعد تشكل قوة لها اهميتها ,كما كانت عليه قبل استيلاء قريش على السلطة.

وعلى كل حال فانه بالامكان ايجاز هذه العلاقة على الشكل الاتي :-كانت خزاعة قد تحالفت مع بكر بن عبد مناة بن كنانة وتمكنت من انتزاع السيادة على مكة من قبيلة جرهم .وفي حدود القرن الثالث للميلاد توطدت هذه العلاقة بالمصاهرات بين القبيلتين. وظلت علاقة كنانة بخزاعة جيدة حتى بعد انتزاع قصي بن كلاب سيادة مكة من خزاعة في القرن الخامس للميلاد على الرغم من ابقاءه خزاعة في منازلها.واخراج بني بكر الكنانيين من مكة "[٣٠]" والدليل هو ان مالك الكناني قد دخل مع بني مليح الخزاعيين .وساءت العلاقة عندما قتل رافع بن قيس الكناني والذي كان في مكة,وهو حليف لحرب بن امية ,رجلاً من خزاعة وهرب الى اليمن ثم عاد بعد سنة الى مكة .وطالب الخزاعيين بدم قتيلهم لكن حرب بن امية خلع رافعاً بن قيس الكناني ونفاه الى الحيرة"[٣٢]" .وقام رجل من خزاعة بقتل حليف الاسود بن رزان الكناني .وكان الاخير تاجر جلب بضاعته الى ارض خزاعة .وحاول البكريون الثأر لحليفهم وقتلوا اثنين من خزاعة ؛فتوترت العلاقات وتأزم الموقف .فهجمت خزاعة على بني الاسود بن رزان وقتلت اعداداً منهم .وظل العداء بين الحيين الى ان ظهر الاسلام .وطغت حوادثه على الوضع القبلي. ولما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في صلح مع المسلمين بينا دخل البكريون في حلف مع قريش .وهجم البكريون على خزاعة ليلاً على ماء الوتير .فأعانت قريش بكراً بالسلاح وقاتل بعض رجالها مع الكنانيين متنكرين"[٣٣]" .فتراجعت خزاعة ودخلت الحرم واستنجدت بالرسول(ص) فانجداها ودخل مكة فاتحاً"[٣٤]" .

فرَ من معركة الوتير تميم بن اسد الخزاعي ,وقد لامته امرأته على ذلك لانه ترك اخاها منبه في المعركة فقتل ؛ولذا فقد تجمع بنو نفاثة من بكر الكنانيين فغزوا خزاعة وانتصروا عليها"[٣٥]" .فهرب الخزاعيون الى المعركة مما دفع الكنانيين الى مهاجمة الخزاعيين مرة اخرى لغرض طرد خزاعة من المياة التي تعود لها .ولكن كنانة باءت بالفشل وخسرت الحرب .وقد عبر بديل بن ورقاء شاعر خزاعة عن انتصارات قبيلته في شعر رواه ياقوت الحموي"[٣٦]" .

ولتداخل منازل ازد السراة وخزاعة وبني عامر بن صعصعة,كان لابد وان يحصل احتكاك بينهما على المنازل والمواضع واخذ الثارات ؛فقد اغار الصعق ,احد بني كلاب واسمه عمرو بن خويلد,على بني المصطلق ,من خزاعة,لكنهم تمكنوا منه وهزموه فاستهزء احد الشعراء به"[٣٧]" . وحصل احتكاك حربي بين

خزاعة وهوازن ؛ذلك لان ابي بردة بن هلال بن عويمر الخزاعي قد اغار على هوازن في منازلها واصطدم بعامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومعه بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .وخسرت بنو عامر وبنو نصر وقتل منهم قيس بن زهير ,اخو الشاعر خداش بن زهير,وسبيت منهم عدة نساء .وانحازت هوازن على بني ليث ,وهم بطن من خزاعة ,فاصابوا حياً منهم يقال لهم بنو الملوح بن عوف فقتلوا منهم رجلاً وسبوهم واخذوا اموالهم"[٣٨]" .

وكانت علاقة خزاعة جيدة مع بني عدوان الذين كانوا يتولون وظيفة الإفاضة من المزدلفة يتوارثونها حتى كان اخرهم الذي قام عليه الاسلام ,وهو ابو سيارة عميلة بن الاعزل العدواني"[٣٩]" .

نافست قيس عيلان خزاعة وحاولت الاستيلاء على مكة ,وقد تحالفت مع قبائل من العرب تحت قيادة الظرب العدواني,فوصلوا مكة وقاتلتهم خزاعة وهزمت قيس عيلان"[٤٠]" .ثم تراضيا وتصالحا ولم ترد في المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر اية اشارة الى تدهور العلاقة مابين الحيين .

كان عهد عمرو بن لحي بداية سيادة خزاعة على مكة ,فقد ألت اليه ولاية البيت وحكم مكة .وتم ذلك لخزاعة عن طريق المصاهرات المتبادلة بين خزاعة وقريش؛ منذ عهد غالب بن فهر .وقد وطدت المصاهرات العلاقة بين الحيين فتقاربت منازلهم حتى تداخلت ايام قصي بن كلاب الذي توج هذا العلاقة بزواجه من حبي بنت خليل"[٤١]" ابن حبيشه زعيم الازد .وكانت له السيادة على مكة وعنده مفاتيح الكعبة .وكان لقصي اربعة اولاد من حبي ,فعلى نجمه بين قومه وخزاعة فرأى انه اولى بالكعبة والسيادة عليها من خزاعة .فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة وحرضهم على طرد خزاعة وحلفائها من بني بكر الكنانيين فأجابوه"[٤٢]" .فتأزمت العلاقة بين قريش وخزاعة .

ومن المرجح ان قصياً استولى على مكة بعد ان قاد قريشاً ومن معها وحارب خزاعة .وكانت الحرب ضروساً تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة ؛لذا فانهم تداعوا الى الصلح على ان يُحكم بينهم .فارتضوا تحكيم يعمر بن عوف بن كعب الكناني . فقضى بان قصياً اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة"[٤٣]" .على ان لا يخرجوا من منازلها"[٤٤]" فألتزم قصي بذلك.وظلت خزاعة في منازلها وتحسنت العلاقة بين الحيين بفضل قصي الذي هدأ نفوس الخزاعيين وامتص حقدهم بسبب ما فقدوه من مكانة دينية في مكة ومن سيادة عليها .ومما يوضح تحسن العلاقة هو المصاهرات بين قريش وخزاعة والتي استمرت حتى ظهور الاسلام .

وحصلت حوادث فردية ادت الى توتر العلاقات بين الحيين منها المشكلة التي كانت بسبب سباق خيل بين مالك بن عميله من بني عبد الدار من قريش ,وعمير بن هاجرة بن عمير الخزاعي اذ سبق الخزاعي القرشي ,لكن رجلاً من بني عبد الدار عرض لفرس الخزاعي وحبسها .فتوتر الوضع وتداعيا الى التحكيم وكان الحكم لصالح الخزاعي"[٤٥]" .وفي صلح الحديبية انحازت خزاعة الى المسلمين ضد قريش, لكن بعضاً من بطونها ظلت متمسكة بعلاقاتها الحسنة مع قريش ,امثال بني المصطلق وبني الحيا فقد دافعوا عن مكة عندما شعروا بان المسلمين متوجهين للاستيلاء عليها .اذ قاتلوا المسلمين باسفل مكة ,لكن المسلمين انتصروا عليهم بعد ان قتلوا ٢٤ رجلاً "[٤٦]" .

ومن الحالات الفردية الاخرى التي ادت الى توتر العلاقة بين قريش وخزاعة هو ماحدث عندما مر الوليد بن المغيرة المخزومي بمنازل بني قمير ,احد بطون خزاعة ,فرماه رجل بسهم في ساقه وقبل موته اوصى بنيه بان دمه في خزاعة .ولذا فقد طالب الابناء بعد وفاة الأب,خزاعة بدفع دية ابيهم .فامتنعت خزاعة اول الامر وكاد الشر يقع بينهما لولا جنوح الخزاعيين الى السلم والاعتراف بحق المخزومي , فدفعت خزاعة الدية .

ولتداخل منازل هذيل مع منازل خزاعة ,ولتنافسهما واختلافهما على احسن المواقع والمنازل ,نشبت الخلافات التي ادت الى الصدام بينهما في عدة حروب منها يوم حشاش ذلك اليوم الذي شن فيه الشاعر عمير بن جعدة الخزاعي واخوه عمرو بمائة رجل على بني لحيان من هذيل ,لكن الهذليين قاتلوهم وفتكوا بهم ولم ينجو من المهاجمين الخزاعيين الا عمرو وعمير بعد ان هربا من المعركة"[٤٧]" وقد تعرض عمير الى لوم زوجته لهروبه من المعركة"[٤٨]" .وقد تفاخر الهذليون بما حققوه من نصر على خزاعة .

ويبدو ان الهذليين ارادوا غزو خزاعة فقاموا بالهجوم على منازلها المهمة. فدارت المعركة على منازل خزاعة وتجددت في الشابك ,وهو منزل اخر لخزاعة, اذ غزا الهذليون بني المصطلق في منازلهم ,وفازوا

بالحصول على مكان لهم هناك "٤٩" ولم تهدأ الحالة بين الطرفين ؛فقد غزت مجموعة من هذيل ديار بني كعب من خزاعة فسبوا وغنموا منهم ,وساقوا السبايا والعنائم الى الرجيع ,وهو ماء الهذيل بين مكة والطائف ,حيث استراح الهذليون وغسلوا اجسامهم ورموا سلاحهم ,الا ان الكعبيين باغتوهم وتمكنوا من استعادة اموالهم وسباياهم "٥٠" .

وقد حاول الخزاعيون الانتقام من الهذليين,وذلك بقتل أبي خراش الهذلي عندما مرّ هو وزوجته بخزاعة ,لكنه شعر بالخطر وتخلف عن زوجته بعد ان اوصاها قائلاً:-"اذا سألوكِ فقولي تخلف كأنه يقضي حاجته وهو مار بكم"[٥١] .فمضت حتى اذا علم انها جاوزت الثنية جاء يمشي على مهله وعندما مر وسطهم سلم عليهم وردوا عليه السلام .وعندما هموا به ركض مسرعاً ونجا .

ولم تخلُ العلاقة بين الحيين من حالات سلمية جيدة على المستوى الفردي بين خزاعة وهذيل .فعندما مرض الشاعر ابو جندب بن مرة من هذيل وله جار من خزاعة اسمه حاطم بن هاجر ,كان زهير اللحياني,ولحيان بطن من هذيل ,قد قتله وقتل امرأته. وعندما شفى ابو جندب من مرضه خرج من اهله وقدم مكة فاستلم الركن وطاف وكان كاشفاً استه ,فقال الناس انه يريد شراً وكان يقول في تطوافه"[٥٢] :-"

اني امرؤ ابكي على جاري ابكي على الكعب والكعبية
ولو هلكت باكياً عليهم كان مكان الثوب من حقوية

وعند الانتهاء من التطواف, خرج في الخفاء من بكر وخزاعة ,فاستجاشهم على بني لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنو لحيان في العرج ,احدى قرى الطائف , فقتل منهم وسبى نساءَهم وذراريهم فباعهم فاشترتهم بني بكر وخزاعة ."[٥٣]

وهناك حالات فردية وقعت بين خزاعة وبعض القبائل امثال مزينه وبني اسد وعك .فاما مزين فقد روى الاصفهاني"[٥٤]حادثة فردية وقعت لقيس بن الحداوية الخزاعي مع قبيلة مزينه اذ التقى بجماعة منهم تنوي الاغارة على من يجدونه غرةً وغفلةً وطلبوا منه الاستسلام بغية ان يأخذوا من قومه فدية لكنه ابى وقاتلهم حتى قتل. وفي رواية اخرى انه كان يتحدث لامرأة من بني سُليم فقتلوه .

اما علاقة خزاعة ببني اسد ,فقد روى الحموي حادثة وقعت بين عبده بن مرار الاسدي وهلال الخزاعي ,فقد قتل الخزاعي الاسدي في مكان اسمه لؤي طفيل ,وهو وادي بين مكة واليمن ,وقد ورد ان الخزاعي قال بيتين من الشعر"[٥٥] :-

ابلغ بني اسد بان اخاهم بلوى طفيل عبده بن مراري
يروي فقيرهم ويمنع ضيمهم ويريح قبل المعتمين عشاره

وعلى الرغم من بعد منازل عك عن منازل خزاعة لكنهما تصاهرتا وكانت ام معاذ ابن صرم الخزاعي من عك .وقد عرف بانه فارس خزاعة وكان كثير التردد على اخواله .وحصل خلاف بينه وبين جحش بن سوده العكي فقتله معاذ والتحق باخواله. وقتل معاذ ايضاً اخا القتيل الذي حاول الثأر لاخيه. ومكث معاذ بن صرم بين اخواله زماناً ثم عفت عنه عك للصهر بينهم ولشجاعته ثم عاد لقومه ."[٥٦]

وقد حاولت جماعة من خزاعة ان تمد نفوذها الى ابعد من مكة ,وحاولت الاستيلاء على اليمامه حيث قاموا بغارة عليها دون جدوى ,اذ تمكن اهل اليمامة من هزم الخزاعيين واسروا بعضهم ؛ومنهم قيس بن الحداوية ,ولكنهم خرجوا من الاسر عندما حان اوان الحج حيث اقتادهم اليماميون معهم الى مكة في الاشهر الحرم ليبتاعهم قومهم ,وفي الطريق استجاروا بعدي بن نوفل الذي كان ماراً . فاجارهم اذ ابتاعهم من اهل اليمامة واطلق سراحهم "[٥٧] .

وحرصت خزاعة على حماية البيت ضد اي اعتداء ؛فعندما اراد تُبع الاول احد ملوك اليمن هدم الكعبة وتخريبها وخزاعة يومئذٍ تلي البيت وامر مكة قامت خزاعة دونه ودافعت عن البيت بكل ما تملك من قوة فاضطرته الى الرجوع .وقام تبع اخر بنفس المحاولة فكان لخزاعة نفس الموقف ,وفشل في تحقيق مأربه"[٥٨] .

ونظراً لحماية خزاعة للبيت ,وتقديسه واحترامه ,فقد حل فيه الامن والاستقرار وازدهرت سوقه ؛الامر الذي شجع التجار من خارج جزيرة العرب الى المجيء اليه ,وعرض بضاعتهم في اسواق مكة .فقد اشار

ابن حبيب"٥٩" ان رجلاً من عظماء الحبشة اقبل الى مكة بتجارة معه فباعها ثم انصرف .وكانت الحبشة تستورد من مكة الادم (الجلود المدبوغة) .

الخاتمة:

كان الحكم في مكة جمهورياً. وأولوا احترامهم لجزء من الارض المجاورة للكعبة وقدسوه، وعدّوه محرماً لايجوز القتال فيه، وجعلوا على عاتقهم حمايته. ومالت قريش في حياتها السياسية الى الديمقراطية، حيث كانت دار الندوة تشبه البرلمانات اذا لم يكن لأحد من قريش ان يستبد برأيه. وكان عبد المطلب زعيم دار الندوة الروحي باعتباره زعيم قريش. وكانت هذه الدار دار حكومة مكة. بناها قصي سنة ٤٤٠م وكان وجوه قريش الذين لاتقل اعمارهم عن ٤٠ سنة يجتمعون فيها للتباحث فيما بينهم من شؤون.

ولو قارنا ديمقراطية قريش بارستقراطية الفرس والروم المعاصرين لحكومة مكة، لادركنا سبق العرب في هذا المجال. لقد كانت مكة تتبع في حكمها نظام الابوة او سيادة الرجل، فكان لمكة زعيم بارز يخضه له الجميع.

اكتسبت مكة بفعل موقعها الجغرافي أهمية تجارية. كما حضيت باحترام العرب، لقدسيتها. كل ذلك جعل أهلها يمتهنون التجارة او التوسط في التجارة.

الهوامش:

١-الطبري,محمد بن جرير,تاريخ الطبري ,تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم,ج٢ (القاهره,١٩٦٠) ص ص ٢٨٣ـ٢٨٤ .المسعودي,ابو الحسن على بن الحسين ,مروج الذهب ,تحقيق يوسف اسعد داغر ,ج٢ (بيروت,١٩٦٥)ص١٨ .
٢-المصدر نفسه ,ج٢,ص٢٠ .
٣-الازرقي ,محمد بن عبد الله بن احمد,اخبار مكة ,تحقيق رشدي صالح ملحس (مدريد,١٣٥٢هـ) ص٩١ .
٤-الطبري ,المصدر السابق,ج٢,ص٢٨٤ .
٥-الاصمعي ,عبد الملك بن قريب ,تاريخ العرب قبل الاسلام,تحقيق محمد حسين ال ياسين ,(بغداد,١٩٥٩) ص٤٦ ,سيديو ,خلاصة تاريخ العرب ,ترجمة محمد افندي (بيروت,١٤٠٠هـ) ص٣٤ .
٦-ابن هشام ,ابو محمد عبد الملك,السيرة النبوية ,تحقيق مصطفى السقا ,ج١ (القاهره,١٩١٦) ص١١٧ . الطبري ,المصدر السابق,ج٢ ,ص٢٨٤ . وانظر المسعودي ,المصدر السابق ,ج٢ ,ص٢٧ .
٧-المصدر السابق ,ج٢,ص٢٨٤ ,وانظر ابن هشام ,المصدر السابق ,ج١, ص١١٩ .المسعودي, المصدر السابق,ج٢ ,ص٢٧ .
٨-المصدر نفسه,ج٢ ,ص٢٨٤ .
٩-المصدر السابق,ج١ ,ص١١٧ .
١٠-المصدر السابق,ج٢ ,ص٢٩ .
١١-ابن كثير,عماد الدين ابو الفداء ,البداية والنهاية ,ج٢ (بيروت,١٩٧٤) ص٢٠٧
١٢-المصدر السابق,ج٢,ص٢٩ .
١٣-البلاذري ,احمد بن يحيى,انساب الاشراف ,تحقيق محمد حميد الله ,ج١ (القاهره,١٩٨٩) ص٨ .
١٤-النويري ,شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ,نهاية الارب ,ج٢ (القاهره,لات) ص٣١٧ .
١٥-المصدر السابق,ص٩٤ .
١٦-الزبيري,مصعب, نسب قريش ,تحقيق ليفي بروفنسال (القاهره,١٩٧٦) ص٦.
١٧-لسان العرب,مادة (خزع) .
١٨-المصدر نفسه والمادة .
١٩-المصدر السابق ,ج١ ,ص٩٤ .
٢٠-المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٢١-البلاذري ,ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داوود ,فتوح البلدان (القاهره,١٩٥٩) ص٢٠ .

٢٢-ابن الكلبي ,هشام بن محمد ,الاصنام ,تحقيق احمد زكي (القاهره,١٩٢٤) ص٨ ,الاصمعي ,المصدر السابق ,ص٩٦ .
٢٣-الزبيري ,المصدر السابق,ص٩ ,اليعقوبي ,احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ,تاريخ اليعقوبي, ج١ ,(نجف,١٩٦٤) ص٢١٢ .
٢٤-الواقدي, محمد بن عمر ,مغازي الواقدي تحقيق مارسدن جونز ,ج١ (اوكسفورد ,١٩٦٦) ص١٥٥ , الازرقي,المصدر السابق ,ج٢ ,ص٢٤٧ .
٢٥-المصدر نفسه ,ج٢,ص٢٦٤ .
٢٦-ابن حبيب ,محمد ,المحبر (حيدر اباد الدكن ,١٩٤٣) ص٩ .
٢٧-الواقدي,المصدر السابق ,ج٢,ص٧٨٣ ,البلاذري ,فتوح البلدان ,ص٤٩ .
٢٨-المصدر نفسه ,ص ص ٤٩ـ٥١ .
٢٩-المصدر نفسه ص ص ٥١ـ٥٢ ,الحموي ,شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت, معجم البلدان (بيروت,١٩٥٧) مادة (وتير) .
٣٠-البلاذري ,انساب الاشراف,ج١ ,ص ٣٦ .
٣١-الزبيري ,المصدر السابق ,ص١١ .
٣٢-المصدر نفسه والصفحة .
٣٣-ابن هشام , المصدر السابق ,ج١ ,ص٣٣ ,قدامة بن جعفر ,ابو الفرج ,الخراج وصنعة الكتابة ,تحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد,١٩٨١) ص٢٦٣ .
٣٤-ابن هشام ,المصدر السابق ,ج٤ ,ص ص ٣٦ـ٣٧ فما بعد ,البلاذري ,المصدر السابق ,ص٥٢ .
٣٥-ابن حبيب ,المصدر السابق ,ص ص ٤٩٦ ـ٤٩٧ .
٣٦-المصدر السابق,مادة (بيخر) .
٣٧-ابن دريد ,ابو بكر محمد بن الحسن ,الاشتقاق ,تحقيق عبد السلام هارون (بغداد,١٩٧٩) .
٣٨-الاصفهاني ,ابو الفرج علي بن الحسين ,الاغاني ,تحقيق ابراهيم الابياري , ج١٤ (القاهره,١٩٦١) ص ص ٥٠٢١ـ٥٠٢٢ .
٣٩-ابن هشام,المصدر السابق ,ج١ ,ص١٢٨ .واسم الاعزل هو العاص بن خالد .\
٤٠-الاصفهاني ,المصدر السابق ,ج١٤ ,ص٥٠٢٠ .
٤١-ابن كثير ,المصدر السابق ,ج٢ ,ص٢٠٧ .
٤٢-اليعقوبي ,المصدر السابق ,ج١ ,ص ص ٢٠٨ـ٢٠٩ ,ابن هشام ,المصدر السابق,ج١ ,ص ص١٣٠ـ١٣١ .
٤٣-المصدر نفسه والجزء والصفحة ,الازرقي ,المصدر السابق,ص١٠٧ .
٤٤-ابن سعد,محمد ,الطبقات الكبرى ,ج١ ,(بيروت,١٩٥٧) ص١٦٨ .
٤٥-ابن حبيب ,محمد ,المنمق (حيدر اباد الدكن ,١٩٦٤) ص١٠٩ .
٤٦-الواقدي,المصدر السابق ,ج٢,ص٨٢٥ ,البلاذري ,المصدر السابق ,ص٥٢ .
٤٧-الحموي,المصدر السابق ,مادة (الحشاش) ,ابن حبيب ,المحبر ,ص٥٠٠ .
٤٨-المصدر نفسه ,ص٥٠١ .
٤٩-الحموي,المصدر السابق,مادة(شباك) ,ومادة(فروع) .
٥٠-ديوان الهذليين ,القسم الثالث,ج١ ,(مصر,١٩٦٥) منشورات وزارة الثقافة , ص٦٦ .
٥١-الاصفهاني,المصدر السابق ,ج٢٤ ,ص٨٤٣٠ .
٥٢-الحموي,المصدر السابق,مادة (عرج) .
٥٣-المصدر نفسه والمادة .
٥٤-المصدر السابق,ج١٤ ,ص٥٠٢٤ .
٥٥-الحموي,المصدر السابق,مادة(لؤي طفيل) .
٥٦-الالوسي ,محمود شكري ,نهاية الارب في معرفة احوال العرب (بغداد,١٣٤٢هـ) ص ص١٥٨ـ١٥٩ .

٥٧-الاصفهاني,المصدر السابق,ج١٤ ,ص٥٠٢٤ .
٥٨-المسعودي,المصدر السابق,ج٢ ,ص٥١ .
٥٩-المنمق, ص١٨ .

فهرست المصادر والمراجع:

أ/المصادر(*)

١-الاصفهاني ,ابو القرج علي بن الحسين ,الاغاني ,تحقيق ابراهيم الابياري ,ج١٤ (القاهرة,١٩٦١) .
٢-الاصمعي ,عبد الملك بن قريب ,تاريخ العرب قبل الاسلام ,تحقيق محمد حسين ال ياسين (بغداد,١٩٥٩)
٣-الازرقي ,محمد بن عبد الله بن احمد ,اخبار مكة ,تحقيق رشدي صالح ملحس (مدريد,١٣٥٢هـ) .
٤-البلاذري ,احمد بن يحيى ١)انساب الاشراف ,ج١ ,تحقيق محمد حميد الله (القاهرة,١٩٨٩)
٢)فتوح البلدان (القاهرة,١٩٥٩) .
٥-ابن حبيب ,محمد ١) المحبر (حيدر اباد الدكن,١٩٤٣) .
٢) المنمق (حيدر اباد الدكن,١٩٦٤) .
٦-الحموي,شهاب الدين ابي عبد الله ,معجم البلدان (بيروت,١٩٥٧) .
٧-ابن دريد ,ابو بكر محمد بن الحسن ,الاشتقاق ,تحقيق عبد السلام هارون (بغداد ١٩٧٩) .
٨-الزبير بن بكار ,جمهرة نسب قريش ,ج١ (القاهرة,١٣٨١هـ) .
٩-الزبيري ,مصعب ,نسب قريش ,تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة,١٩٧٩) .
١٠- الطبري ,محمد بن جرير ,تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ,ج٢ (القاهرة,١٩٦٠) .
١١-قدامة بن جعفر ,ابو الفرج ,الخراج وصنعة الكتابة ,تحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد,١٩٨١) .
١٢-ابن كثير ,عماد الدين ابو الفدا ,البداية والنهاية ,ج٢ (بيروت,١٩٧٤) .
١٣-ابن الكلبي ,هشام بن محمد ,الاصنام ,تحقيق احمد زكي ,القاهرة ,١٩٤٢) .
١٤-المسعودي ,ابو الحسن علي بن الحسين ,مروج الذهب ,تحقيق يوسف اسعد داغر ,ج٢ (بيروت,١٩٦٥) .
١٥- النويري ,شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ,نهاية الارب ,ج٢ (القاهرة,لات)
١٦-الهذليين ,ديوان الهذليين ,القسم الثالث (القاهرة,١٩٦٥) .
١٧-ابن هشام ,ابو محمد بن عبد الملك ,السيرة النبوية ,تحقيق مصطفى السقا ,ج١ (القاهرة,١٩١٦) .
١٨-الواقدي,محمد بن عمر ,مغازي الواقدي ,تحقيق مارسدن جونز ,ج١ (اوكسفورد ,١٩٦٦) .
١٩-اليعقوبي ,احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ,تاريخ اليعقوبي ,ج١ (نجف,١٩٦٤).

ب/المراجع

١-الالوسي ,محمود شكري ,نهاية الارب في معرفة احول العرب (بغداد,١٣٤٢هـ)
٢-الخربوطلي ,علي حسين ,تاريخ الكعبة (بيروت ,١٩٧٦) .
٣-الشريف,احمد ,مكة والمدينة (القاهرة,١٩٦٥) .
٤-سيديو ل . أ ,خلاصة تاريخ العرب ,ترجمة محمد اندي ,(بيروت ,١٤٠٠هـ)
٥-كستر م .ج . ,الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ,ترجمة يحيى الجبوري (بغداد,١٩٧٦).

(*) استبعدت كلمة ابن و ابو من اصل الاسم عند ترتيب اسماء المؤلفين الا اذا كانت تشكل الاسم الاصلي للمؤلف .

The relationship of Mecca with Arab tribes and the central civilizations before Islam

Prof .Dr.Jassim Sagban Ali
Education College of women - Baghdad University

Abstract:

The Jarajima were drive away from Mecca at the beginning of third century A.D Khuza"a was settled in Mecca with the help of kinana . Mecca had a lot of relations with other Arab tribes by trade and marriage . Quais Ailan tried to role Mecca but she disappointed .

Khuza"a tried to extend outside of Mecca but she failed . then this tribe managed to increase security and stability in Mecca . That encouraged the merchants to come to Mecca.

At the beginning of fifth century A.D. Quraish began to get rid of Khuza"a in order to have the mastery of Mecca. In spite of that Khuza"a remained in her houses and wrote many peace treaties and intermarriage with Quraish .

Quraish managed to control at Mecca in the middle of the fifth century. The sons of Qusai differed about the role of Mecca. Later on they agreed that Hijba , the Lewa" and the dar of Nadwa for the sons of Abid AL Dar while the Siqaya and Rifada for the sons of Abid Munaf .

Quraish achieved the security and public order , to settle the trade and it's organization. Add to that Quraish Found a lot of organizations and wrote many peace treaties with the Arab tribes .

Quraish found the system of Hums ,Fudhul alliance and the Elaf . These are the social and economic organizations that complete each others.

The mention of Elaf in Quran is very good prove for the importance of the Arab trade in pre-Islamic time .The Romains and Persians recognized that ,so they gave the Arab security and preserve. The Arab managed to prepare the security for Mecca , Arab tribes and for central civilizations.